

تعريب التعليم في العالم العربي

معالى وزير التربية والتعليم بالجمهورية
العربية المتحدة

الأستاذ: السيد يوسف

وان موضوع التعريب في العالم العربي لهو من الموضوعات التي تشغل اليوم الاقطار العربية كلها ويبدو ذلك واضحا في مقررات مؤتمر التعريب الذي عقد بالرباط في سنة 1961 ، ومؤتمر المعلمين العرب بالجزائر ، ومؤتمر وزراء التربية والتعليم العرب ببيقداد في سنة 1964 ومؤتمر المعلمين العرب في الاسكندرية في سنة 1965 ، وما اثير في هذه المؤتمرات يدل دلالة قاطعة على اننا سائرون على الطريق ، واننا في يوم ما ستحقق اهدافنا من تعريب التعليم في وطننا العربي كله .

وانه لمن الضروري أن نشير اشارة خاطفة الى ما قام به اجدادنا العرب الامجاد ، حين بدأوا يعربون العلم ، الذي هو مادة التعليم في اواخر العصر الاموي ، عن طريق ترجمة العلوم اليونانية والهندية والفارسية ، فقد روى الثقات أن أول من اشتغل بالترجمة وصناعة الكيمياء خالد بن يزيد بن معاوية وأنه ترجم كراسة في الطب ، تعرف بكراسة (أهرن) وكان أهرن طبيبا مسيحيا من أطباء مدرسة الاسكندرية الذين ظهروا في أوائل القرن السابع الميلادي . ثم أخذ العلم يشق طريقه بقوة من أجل النخوة والازدهار .

وكان أبو جعفر المنصور أول خلفاء بني العباس الذين تنبهوا الى قوة العلم في بناء صرح الحضارة ، فشجع الترجمة والنقل ، وقد بلغ من شدة حرصه على تعريب العلم أنه اعتمد على بعض علماء السريان الذين اشتهروا في أيامه بخدمتهم للثقافات اليونانية ، وكانوا يقيمون وقتئذ في مدارسهم المعروفة في الشام في (الرها) و (نصيبين) و (حران) .

كان هؤلاء العلماء فضلا عن الماهم بالثقافة اليونانية واللفة اليونانية - يتقنون اللغة العربية فاستخدمهم

ان الجهود القيمة التي يقوم بها المكتب الدائم لتنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية بمدينة الرباط - تستحق الثناء والتقدير ، وتقابل بصفة خاصة في الجمهورية العربية المتحدة بما هي جديرة به من الاعجاب .

ونحن نتفق الى مدى بعيد مع ما يذهب اليه اخواننا العرب في المغرب الاقصى ، مع اتجاهات نحو تعريب التعليم في العالم العربي ، وقبل أن نسجل انطباعاتنا عن هذا الاتجاه نقف وقفة قصيرة أمام المجلة التي تنطق باسم المكتب ، وهي مجلة « اللسان العربي » ، لنؤكد لكم - أيها الاخوة العرب - سرورنا بما هي عليه من حسن التبويب والدقة العلمية في تناول الموضوعات اللغوية المختلفة ، وهذا مما يكشف عن المقاصد النبيلة التي تحذو القائمين على اخراجها في هذا الثوب الجديد ، خدمة خالصة للغة العرب ، ورغبة قوية في استعادة امجادهم في مشرقهم ومغربهم .

وان كان لنا أن نضيف شيئا الى بحوثها العميقة فاننا برغبة ملحّة نضيل الى الدرس المتند المستوعب للتطور اللغوي للفتنا العربية في مختلف عصورها ، منذ نشأتها الى الآن حتى يتضح لنا من خلال هذا التطور الفهم الدقيق لمشكلات اللغة وعلومها ، وكل ما كان له أثر في المحاولات الاصلاحية ، التي قسام بها الائمة السابقون للغة وعلومها فان ذلك - ولا شك - يلقي ضوءا ساطعا على ما نحن بسبيله من اصلاح لغوي ، يجعل لغتنا قادرة على الوفاء التام بحاجات الحياة المتطورة ، كما كانت من قبل في عصور ازدهارها ، حينما كانت المنهل العذب للواردين ، الذين كانوا يفتون من انحاء العالم الى الجامعات والمراكز العلمية ، لتزود بثقافات العرب .

الى ان دعى العرب ما دهاهم من عوامل التفرق والانقسام .

وقد وعت امتنا العربية اليوم هذا التاريخ الحافل، ولذلك نراها فى وثبتها الحاضرة - تعمل فى تصميم وعزم على استعادة ما كان للفتها من منزلة علمية سامية .

وما كاد فجر النهضة الحديثة يبرز بطلمته - المشرقة - حتى بدأت العربية تنفض عنها غبار العصور المتأخرة التى كانت تن تحت وطأتها الثقيلة ، وأخذت تعمل على مسامرة ركب الحضارة من حولها ، وتتقبل الالفاظ الجديدة التى جاءت بها النهضة العلمية والحضارية فى جميع الميادين ثم جاء مجمع اللغة العربية فى النصف الاول من هذا القرن تلبية لهذا التطور ، وقد حرص فى ابان نشأته فى سنة 1932 م على أن يحدد أغراضه ويوضح سبيل تنفيذها فكان من أهم أهدافه الكبرى المحافظة على سلامة اللغة وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون فدرس على أيدي خبراءه المتخصصين متن اللغة فى أصله ونشأته ، فى نسوه وتطوره ، ورسم طريقا فى البحث فى وسائل تغذية هذا المتن ، وتحقيقا لذلك وضع طائفة من القواعد والمبادئ، واتخذ قرارات هامة تتصل بوسائل انهاض اللغة ، أخصها الوضع واطلاق القياس ، وتحرر السماع من قيود الزمان والمكان والتسليم بالتعريب ، والاعتداد بالكلمات المولدة وتسويتها بالكلمات الاصلية .

واحتج المجمع لهذه القرارات بما سلكه العرب من قديم ، فقد استباحوا الوضع فى مختلف صورته وقبلوا كلمات أجنبية أضافوا بها ثروة الى لغتهم .

غير أن مجمعنا الموقر - وان سلم بمبدأ التعريب - نراه يعالجه بشئى من الحيطة والحذر ، فأصدر فيه هذا القرار المشهور :

« يجيز المجمع أن تستعمل بعض الالفاظ الاعجمية - عند الضرورة - على طريقة العرب فى تعريبهم . »
ولكن التعريب برغم ذلك ما يزال موضوعا شائكا فقد اختلف فيه علماء هذا العصر وأجرى بينهم فيه كثير من الجدل .

عذا مع أن عرب الجاهلية أدخلوا فى لغتهم كلمات أعجمية جاء بعضها فى القرآن الكريم ، وكان من الطبيعى بعد ذلك أن يزداد التعريب فى الإسلام ، حين اشتد اختلاط العرب بأهل البلاد المفتوحة وبغيرهم من الامم فتعددت وسائل التاثر بالثقافات الأجنبية ، وقد

أبو جعفر فى ترجمة علوم الطب والفلك ، غير أن أجدادنا العرب لم يحاولوا ترجمة أدب اليونان إذ كانوا ينظرون الى أدبهم باعتباره أحسن الآداب ، ولانهم وجدوا الادب اليونانى أدبا وثنيا ، يتحدث عن تعدد الآلهة ، وان لها بنات فى الماء وفى السماء ، لذلك أنكروه أشد الانكار وعزفوا عنه عزوفا كبيرا .

وفى عصر الرشيد أقبل العرب المسلمون على الترجمة والنقل اقبالا شديدا إذ كان الرشيد أشد تحمسا من أبى جعفر فى تشجيع تعريب العلم فقد كان يقوم بنفسه بغزو بلاد الروم كل سنة ، وعرفت هذه الغزوات بالصوائف (الغزوات الصيفية) وكان من أغراضها - فضلا عن الاغراض الحربية - الحصول على مزيد من الكتب والمحفوظات فى مختلف العلوم ، وفى الطب والرياضة والفلك والفلسفة ، ولذلك اتجه الى المدن الرومية ، التى تزخر مكتباتها بهذه الكتب ، ومنها (عمورية) و (أنطاكية) ، وكان الرشيد يجعل من بين شروط الصلح الاستيلاء على ما فى خزائن هذه المدن من كتب نفيسة .

وشتان ما بين غزو من أجل العلم ، وغزو من أجل استعباد الشعوب ، وامتهان كرامة الانسان وسلب حقوقه الطبيعية فى الحياة .

وكان (يوحنا بن ماسويه) من أشهر المترجمين فى أيام الرشيد ، وهو صاحب الفضل فى انشاء دار كبيرة للكتب ، تلك الدار التى اتسعت فيما بعد ، وصارت تعرف بدار الحكمة فى أيام المأمون العباسى .

وكان عصر المأمون عصر تهذيب للترجمات السابقة ، وذلك التهذيب الذى ترتب عليه التحصيل الواعى والهضم الدقيق لجميع الثقافات الأجنبية ، مهد لعصر الابتكار وبناء الثقافة العربية الإسلامية ووضع أصولها ومناهجها .

نهج العرب هذا النهج فى تعريب العلم ، لانهم كانوا يعلمون أنه لا ينبغ النابغة فى أى علم أو فن الا بلغته الاصلية ، فرأيناهم بعد الفراغ من دور التحصيل والاستيعاب للعلوم المترجمة - ينتقلون بسرعة الى ابتكار آراء جديدة ، ويضيفون الى التراث الانسانى علما عربيا جديدا ، وهذا مما جعل علامتنا ابن خلدون يقرر أصلا مشهورا : «ان تعلم العلم بلغة أجنبية لا يعتبر تعلميا .»

ثم استمرت حركة تعريب العلم حتى صار العلم العربى عينا ثرة ونمعا لا يفيض يعب منه الاوربيون

أقيمت خطأ بين عصور الترجمة ، ويثبت أن في العربية وحدة تضم أطرافها .

هذه اشارة الى بعض الجهود التي بذلت ، وما تزال تبذل في سبيل تطوير لغتنا .

ويسر الجمهورية العربية المتحدة - الفتية - ان تشارك شقيقتها المملكة المغربية فيما تعمل من أجل تعريب التعليم ، وتبارك جهودها المثمرة فنحن متفقون على أن تتجه عنايتنا جميعا الى توحيد المناهج في الوطن العربي الاكبر ، حتى يعرف كل تلميذ في كل قطر عربي تاريخ بلاده وجغرافيتها ثم يتدرج من ذلك الى الوطن العربي الاكبر ، ثم الى بلاد العالم شرقه وغربه وان تتوافر جهودنا لتكوين ثقافة عربية أصيلة تتناول جميع الجوانب المتصلة بتاريخنا وعاداتنا وتقاليدينا وأمجادنا عبر العصور ، لكي يتزود بها أبنائنا من المحيط الى الخليج .

وهذا يتطلب منا اعداد كتب موحدة ومصطلحات موحدة ومعلم عربي يستطيع أن يؤدي رسالته العربية في كل قطر عربي ، وحتى يتحقق لنا ذلك لا بد من خطوة ايجابية ، وهي توحيد جهود الجامع والهيئات اللغوية في الوطن العربي حتى نصل في اقصر وقت الى اقرار المصطلحات الضرورية لتأليف الكتب المدرسية المقررة ، ويتصل بهذه الخطوة الاتفاق على نحو ميسر وكتابة ميسرة ، ومنهج موحد لاعداد المعلم العربي ، وما ذلك ببعيد على علمائنا في مختلف البيئات العربية . وفقنا الله لما فيه مجد العروبة وازعلا كلمة العرب .

استدعى نقل هذه الثقافات الى اللغة العربية استخدام مصطلحات جديدة ، أدخلها المترجمون وخاف فريقت من علمائنا المتأخرين من طغيان الالفاظ الاعجمية على الفصحى ، فوقفوا موقفا خاصا من التعريب وجعلوه سماعيا مقصورا على ما ورد على السنة العرب الفصحاء وقد دفعهم الى ذلك شدة حرصهم على الفصحى ، واقتدى بهم كثير من أصحاب المعجمات فأبوا أن يدونوا الاعجمي المحدث ، وعابوا على صاحب القاموس نقله لكثير من أسماء النبات والحيوان والعقاقير المعربة والقائلون بالتعريب انفسهم مختلفون فيما بينهم ، فمنهم من يرى ضرورة التزام الاوزان العربية ، ومنهم من لا يلتزمها ، ويعرب الكلمة كما وردت في لغتها الاصلية .

وانصافا لجهود علمائنا نرى أن قرار التعريب الذي أصدره مجمعنا - وان كان يوحى بعدم التوسع في التعريب - الا أنه جعله أصلا لغويا ، لا ينظر اليه في توجس وخيفة ، كما كان الشأن منذ ربع قرن أو يزيد ذمسخ بذلك المجال أمام اللغويين والباحثين ، لكي يمدوا اللغة بزاد لم يتوفر لها بالامس ولقد كان من ثمرات العمل اللغوي الدائب لمجمعنا ذلك المعجم الوسيط الذي نراه بين أيدينا اليوم .

وهو الآن بصدد وضع معجم تاريخي للغة ، يعبر عنها في عصورها المختلفة ويضم الفاظا جديدة الى جانب الفاظ الجاهلية وصدر الاسلام ، والالفاظ العلمية التي هي وليدة عصر الترجمة في أيام العباسيين ويستشهد بالشعر والنثر ، مهما يكن العصر الذي قيل فيه ، ويهدم الحدود الزمانية والمكانية التي